النّص الأدبي في ضوء المقاربات البيداغوجيّة الحديثة

A pedagogical literary text in the light of modern pedagogical approaches

سلاف عطّابي طالبة دكتوراه
عمار ثليجي / الأغواط / مخبر علوم اللسان
s.attabi@lagh-univ.dz

تاريخ الارسال : 2020/ 04/12	تاريخ القبول : 2020/05/20	تاريخ النشر :2020/06/30

ملخص :

لازالت النصوص الأدبية تتخبط وتتعثر رغم الإصلاحات التربوية التي عرفتها منظومتنا التربوية، فنجدها تدرس وفق الأجناس والفنون الأدبية، وتحمل طابعا تقليديا قديما لا يراعي أسس بناء النصوص اللازمة مما يجعلها تبتعد عن المتعلم بآلاف السنين، فيبقى تعلم التص الأدبي خاضعا للاستهلاك والاجترار دون تذوق وإبداع. جاءت هذه الورقة البحثية تبحث عن إجابات لجملة من الأسئلة أهمها: ما مدى تجاوب المتعلمين وتفاعلهم مع النصوص التعليمية؟ هل يملك المتعلم قدرة اختراق واقتحام عوالم النص الأدبي؟ وإذا كانت المقاربة النّصيّة هي أحدث طريقة يُتناول بها النص فهل تفعل حقا دور المتعلم؟ أم لازالت هي الأخرى تركز على البنية اللغوية بعيدا عن إبداع المتعلم في استقراء النصوص.

الكلمات المفتاحية: النص التعليمي – المتعلّم – المقاربات الحديثة – المقاربة النصية

Abstract

The literary texts waver and falter in spite of the educational reforms that our educational system has undergone, so we find them studied according to races and literary arts, and they carry an old traditional character that does not take into account the foundations of the construction of the necessary texts, which keeps them away from the learner for thousands of years, so learning literature subject to

consumption and rumination remains tasteless and uncreative. This research paper has provided answers to a number of questions, the most important of which are as follows: To what extent do learners react and interact with educational texts? Does the learner have the ability to enter and penetrate the worlds of the literary text? If the textual approach is the most recent way in which the text is approached, are you really playing the role of the learner? Or does it always focus on linguistic structure away from the learner's creativity in reading texts?

Keywords: educational text - learner - modern approaches - textual approach -

مقدّمة:

شهد ميدانُ تعليم اللّغات وتعلّمها عدّة إصلاحات تربويّة على مستوى المناهج، إلّا أنّ الأدبَ لم يلقَ ضالّته، ولم يتحدّد مفهومه الصّحيح، ولم يتجرّد من الثوب التّراثيّ الذّي لا يزال يظهر به على مرّ المقاربات البيداغوجيّة التّي عرفتها تعليميّة النّصوص الأدبية، ولعلّ النّقلة النّوعية التّي طرأت على حقل اللّسانيات، بانتقال بؤرة الاهتمام من نحو الجملة إلى نحو النّص، قدّمت النّصَّ وأعطته أهميّة بالغة من لدن التربويّين والمسؤولين على تنظيم الفعل التّعليمي التَّعلُّمي.

والمتفحِّص للغايات التّي يرمي إليها النّص الأدبيّ بخصائصه الجيّدة، ومميّزاته الملائمة لعمليّتي التَّعليم والتعلُّم يجده منهجًا في حدِّ ذاته؛ إذ يمكِّن المتعلِّمين من تمثّل اللُّغة العربيّة، وفهم أسرارِها اتساقًا وانسجامًا، كما يبحر بالمتعلِّم في ثقافات متنوّعة، ترفعُ من أبعاده القيمية، وتعدِّل سلوكَه، غير أنَّ هذه المادَّة التَّعليميّة تبقى في حالة جمودٍ ما إن دُرِست وفق طريقة لا تعترف بأهميَّة النَّص وبمستوياته المختلفة والمتكاملة، ودوره في تدريب المتعلِّمين على كيفية تحليل النّصوص، واستنباط مضامينها بتمعُّن.

ممّا لا شكَّ فيه أنَّ المقاربة النَّصِّية هي التّي تسدّ الهفوات التّي شهدها تدريسُ النّص الأدبيّ سابقًا، شريطة أنْ تُوفَّر لها الأرضية المناسبة للتّطبيق، والسؤال الذّي يطرح نفسه ههنا هو: هل استطاعت المقاربة النّصية أن تحقّق أهدافها وأهداف المنهاج؟ وإن كان الجواب بالنَّفي فهل الأسباب تعود للطريقة نفسها؟ أم لطبيعة النّصوص الأدبية المبرمجة في المقرّرات الدراسية؟ أم هناك أسباب أخرى لها يدٌ في ذلك؟

وللإجابة عن التساؤلات سالفة الذِّكر، سنشرع في تقديم بعض المفاهيم التّي تدور حول النَّص، والنَّص الأدبيّ، والنَّص التعليميّ، والمقاربة، والمقاربة النَّصّية.

مفهوم النّص:

أ- لغة:

يعرّف لسان العرب كلمة نص كالآتي: «نصّ: نصص: رفعك الشيء، نصّ الحديث، ينصّه نصّا: رفعه، وكلّ ما أظهر فقد نصّ... ونصّت الظبية جيدها رفعته، ووضع على المنصّة أي على غاية الفضيحة، والشّهرةّ والظّهور».[1]

وجاء في تعريف آخر أنَّه «يعني الظّهور والبروز والارتفاع: نصَّ الحديثَ رفعَه، ونصَّت الدّابَّةُ خيدها إذا رفعته، ونصّت العروس إذا رفع مكانها وأبرزت، وناقته استخرج أقصى ما عندها من السّير، الشيء حركه، ومنه

[1]- ابن منظور: لسان العرب، تر:عامر أحمد حيدر، مر:عبد المنعم محمّد خليل، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 2003م،ن،ص423

فلان ينصّ أنفه غضبًا، وهو نصاص، المتاع: جعل بعضه فوق بعض، وفلا استقصى نسالته عن الشّيء والشيء أظهره.»[2]

ب- اصطلاحا:

أولا: عند العرب:

يرى النّحويّون واللّغويّون العرب أنَّ النصَّ هو: « الشّاهد وهو قائل موثوق بعربيّة للاحتجاج والاستدلال به على قول أو رأي»[3]، كما يرى حامد أبو زيد أنَّ النصَّ:« هو الوسيلة الإبلاغيّة التّي يشترك فيها طرفان مرسل ومرسل إليه، والنَّص بمثابة الرّسالة الواصلة بينهما، وبما أنَّ القرآن وصفه الله بالرّسالة حقّ تطبيق المناهج التحليلية عليه، ولكنّ النصّ القرآنيّ ليس كبقيّة النّصوص»، [4]فالغزالي أعطى وصفا وظيفيّا للنصّ كونه يعتبر أداة من أدوات العمليّة التّواصليّة في الحقل التّربويّ.

ثانيا: عند الغرب:

يستعمل يلمسلاف Loui Hjelmeslev مصطلح النّص بمعنى واسع «ويطلقه على أي ملفوظ قديما أو حديثا، مكتوبًا أو محكيًا، قصيرًا أو طويلًا، فكلمة "قِفْ" مثلا عنده نص كامل[5]»، كما يعرّفه بارت Roland Barts على

---

[2]- جماعة من كبار المؤلفين العرب بتكليف من المنظمة العربية التربية والثقافة والعلوم: المعجم العربي الأساسي، ص: 975

[3]- محمد سمير نجيب اللابيدي: معجم المصطلحات النّحوية والصّرفية، دار الثّقافة، بيروت، د.ط، د.ت، ص: 119-120

[4]- عبد السّلام المسدي: النقد والحداثة، منشورات دار أمية، تونس، ط2، 1989م، ص:24

[5]- حمودي سعيد: أشغال الملتقى الوطني الأول حول : اللّسانيات والرواية، مجلة الأثر،ع22، فيفري 2012، ص:102

أنَّه: «نسيج كلمات منسّقة في تأليف معيّن، بحيث هو يفرض شكلا يكون على قدر المستطاع ثابتا ووحيدا، ثمّ يشرح ذلك فيقول:إنَّ النصّ من حيث أنَّه نسيج فهو مرتبط بالكتابة، ويشاطر التّأليف المنجز به هالته الرّوحية علو المصدر، وذلك أنه بصفته رسما بالحروف، فهو إيحاء بالكلام (الظهور)، وأيضا بتشابك النّسيج، وذلك يكسبه صفة الاستمرارية؛ أي التّركيب، والتّرتيب[6]».

أمَّا ترى جوليا كريستيفا Julia kristeva: «أنَّ النصّ جهاز غير لساني يعيد توزيع نظام اللّسان عن طريق ربطه بالكلام، راميًا بذلك الإخبار المباشر مع مختلف أنماط الملفوظات السّابقة والمعاصرة[7]»، فإشارة جوليا واضحة من خلال تعريفها إلى كيفية إعادة بناء نصوص جديدة انطلاقا من نصوص أخرى – التناص- فالعبارات المشكّلة للنّص بإمكانها أن تنفصل عن بعضها لترتبط بعبارات أخرى مشكّلة نصوصًا جديدة، وتضيف أيضا «أنَّ النص يشارك في تحريك وتحويل الواقع الذّي يمسك به في لحظة انغلاقه[8]»، فالنص يرتبط بالمجتمع الذّي يتوافق مع تحويلاته.

مفهوم النّص التّعليمي:

يعرّف النصّ من ذوي البيداغوجيا على أنّه: «وحدة لغوية متوسّطة الطول، تعالج موضوعًا معيّنًا، ويتم اختيارها لغاياتٍ تعليميةٍ، كتنمية

---

[6]- عنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، د.ط، 2000م، ص:17

[7]- جوليا كريستيفا: علم النّص، تر:فريد الزّاهي، مر: عبد الجليل ناظم، د.ط، د.ت، دار توبقال، المغرب، ص:02

[8] - المرجع نفسه، ص:09

قدرات الفهم، والتّحليل، والتّذكر لدى التّلاميذ، وكذلك إكسابهم معلومات معيّنة في مجالٍ محدّد[9]».

ويعرّف أيضًا على «أنه قطع نثرية، أو شعريّة متوسّطة الطّول، متوافرة على حظّ من عمق الأفكار وجمال التّعبير، إنّه وحدة تعليميّة تختار لأغراض تربويّة، لتكون موضوعا للفهم ، و التّحليل، واتخاذ معارف التّلاميذ اللّغوية والثّقافية والفكريّة والوجدانيّة[10]».

إذا كان النّص في تحديدات علم النّص وتحليل الخطاب، يمثل درجة أعلى من الجملة في مستويات اللّغة؛ فإنّه بالنسبة لتعليميّة اللّغات «يمثّل قاعدة وأساسا للتّطبيق العملي للدّرس اللّغوي، ضمن قائمة من الأسس والآليات المساعدة على التّحصيل اللّغوي؛ لأنّه سبب وسند القراءة[11]»، كما يعتبر« النّص اللّغوي الذّي يتمّ اعتماده في تعليم اللّغة وفق شروط أو معايير منهجيّة، ويكون اختياره من بين مجموعته من النصوص المختلفة الأخرى التّي تمثّل ثقافته وميوله[12]». ومنه فالنّص التّعليميّ هو الأرضيّة التّي تُستثْمَرُ لتعليم فروع اللّغة بغية اكتساب مهارتي تحليل وفهم النّصوص، والتّمكّن من إنتاج نصوص مقاربة في دقّة البناء والجمال للنّصوص التّي ننطلق منها.

---

[9]- التّقرير الوطني الخامس بتقويم منهاج اللّغة العربيّة وآدابها في مرحلة التّعليم الثّانوي، وقائع الملتقى الوطني لتعليميّة اللّغة العربيةوآدابها، المنعقد أيام 1-2-3 ديسمبر 1997، ثانوية حسيبة بن بوعلي، القبّة، الجزائر، ص:53

[10]- بشير ابرير: تعليميّة النّصوص بين النّظرية والتّطبيق، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 2007م، ص: 192

[11]- يحي بوتردين: تعليميّة النّص القرآني في إطار التكوين الجامعي المتخصّص في اللّغة العربية وآدابها، أطروحة دكتوراه، تخصص لسانيات تطبيقية وتعليميّة اللّغة العربية، جامعة الجزائر،2006/2005 ص:44

[12]- المرجع نفسه، ص: 48

مفهوم النّص الأدبيّ:

«هو نسيج من الألفاظ والعبارات التّي تطرد في بناء منظّم متناسق يعالج موضوعًا، أو موضوعات في أداء يتميّز على أنماط الكلام اليومي والكتابة غير الأدبية، بالجماليّة التّي تعتمد على التخيّل والإيقاع والتّصوير والإيحاء والرمز، ويحتل فيها الدّال بتعبير سوسير مرتّبه أعلى من المدلول مقارنة بالنّص الغير الأدبي[13] ».

كما يعتبر «بنية جمالية لغوية تسعى إلى تشكيل اللّغة في أشكال تعبيريّة متفرّدة باهرة، ومدهشة، انطلاقا من إقامة علاقات مبتكرة بين الكلمات والجمل، بقصد التّأثير في المتلقّي، وإثارة إعجابه ودهشته، والسّيطرة على وجدانه[14] ».

مفهوم المقاربة النّصيّة:

أ- مفهوم المقاربة:

معناها اللّغوي ورد في لسان العرب أنَّها: «قِراب الشيء وقُرابه وقرابتُهُ: ما قارب قدره، وفي الحديث: إن لقيتني بِقُرابِ الأرضِ خطايا... أي بما يقارب ملأها وهو مصور قارب، يقاربُ، والقِرابُ: مقاربة الأمر والتّقَرُّب: التّدنّي إلى الشّيء والتّوصّل إلى إنسان بقربه أو بحق[15]..»؛ أمَّا في معناها الاصطلاحي: «هي تصوّر وبناء مشروع عمل قابل للإنجاز على ضوء خطّة أو إستراتيجية، تأخذ في الحساب كلّ العوامل المتداخلة في تحقيق الأداء الفعّال، والمردود

[13]- السّعيد بوسقطة: شعريّة النّص بين جدلية المبدع والمتلقّي، مجلّة التّواصل، جامعة عنابة، 08 جوان 2001، ص:216

[14]- محمد راتب الحلّاق: النّص والممانعة مقاربات نقدية في الأدب والإبداع، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999، ص:11

[15]- ابن منظور: لسان العرب، مادة -قرب- ص:779

المناسب[16]»؛ أي هي مجموع الخطط التّي من خلالها يوضع المنهاج، ويطبّقُ، ويُقوّمُ.

ب- **مفهوم المقاربة النصيّة**

«هي رافد قويّ يمكن المتعلّم من ممارسة كفاءته عن طريق تفعيل مكتسباته، حيث أنَّ النّشاطات المقرّرة في تدريس اللّغة العربيّة تنطلق من نصٍّ، فالنّص يصبح المحور الرّئيس الذّي تدور في فلكه هذه النّشاطات خدمة لملكة التّعبير الكتابيّ، والتّعبير الشّفهيّ لدى المتعلِّم[17]» ؛ أمَّا من منظور بيداغوجيّ تعني: «مقاربة تعليميّة تهتمّ بدراسة بنية النّص ونظامه، حيث تتوّجه العناية إلى مستوى النَّص ككل، وليس إلى دراسة الجملة؛ إذ أنّ تعلُّم اللّغة هو التّعامل معها من حيث هي خطاب متناسق الأجزاء، منسجم العناصر، ومن ثمّ تنصبّ العناية على ظاهرة الاتّساق والانسجام التّي تجعل النّص غير متوقّف على مجموعة متتابعة من الجمل بل تتعدّى ذلك إلى محاولة رصد الشّروط المساعدة على إنتاج نص محكم البناء متوافق المعنى[18]». إذن المقاربة النّصية في تعليميّة النّصوص الأدبية تجعل من النّص محورا لجميع التّعلُّمات، والدّروس اللُّغوية، وإنجاز هذه النّشاطات لا يتمّ إلَّا بواسطة النّص، ويكون هو المنطلق الأوّل في مسار الدّرس اللُّغوي، واعتماده يسمح للمتعلّمين بالوصول إلى استنتاج رئيسي هو أن اللُّغة كلّ متكامل، فلا تحدث قطيعة لما تعلّموه، ويكون هناك تتابع وتواصل في المعارف التّي اكتسبها

[16]- السّعيد مزروع: التّدريس والتّقويم بالكفاءات، سلسلة موعدك التّربوي، الجزائر، العدد17، 2005م، ص:02

[17]- عبد اللّطيف الفرابي وآخرون: معجم علوم التّربية مصطلحات البيداغوجيا والدّيداكتيك، دار الخطابي، الرّباط، ط1، 1999م، ص:185

[18]- اللّجنة الوطنية للمناهج: مشروع الوثيقة المرافقة لمنهاج السّنة الأولى، ص:14

خلال وحدة تعليميّة كاملة، وهذا ما يصطلح عليه بالكفاءة العرْضيّة بين أنشطة اللُّغة العربيّة.

خصائص النّص الأدبي[19]:

- ✓ نصّ يستخدم اللّغة استخدامًا خاصًّا (ضمن الفضاء الواسع لقواعد اللّغة، ونحوها وصرفها) ويبني عليها أنساقًا لغويّة، بسماتٍ شخصيّةٍ فريدةٍ.
- ✓ نصّ لا يفرّق في استعمال البرهان العقلي، ولا التّحليل المنطقي، إنَّما يستخدم الأسلوب البياني القائم على الإقناع والتأثير والإيحاء ومخاطبة الوجدان والعاطفة وهذا ما يسمّى بالخطاب الشّعري المعتمد على الخيال وبناء الصّور الفنّيّة.
- ✓ نصّ ممتزج بذات مبدعه لدرجة التّوحد، فالأديب متموضع بقوّة في نصّه.
- ✓ نصّ لا يقدّم حقائق، خلافا للسّنن العاديّ الذّي يوضع للإعلام، والإخبار، والتأريخ، ويطمح إلى تحقيق معادلة تكافؤ بين الدّال والمدلول، بحيث لا يُفهم منها إلَّا معنى واحد.
- ✓ نصّ يحتمل معانٍ متعدّدةٍ، وهذا ما يفسر قابليته للتّأويل؛ لأنَّه يظهر غير ما يخفي، فهو حمّال أوجه، مستعد لقبول العديد من القراءات.

إذن يمكننا القول أنَّ النصوص الأدبيّة ترتبط بالمتعة والإبداع، وتبتعد عن كل ما هو مألوف، ومعتاد، ويسترشد بها المتعلّم كي يعدّل سلوكه، وينمّي قدراته العقلية وكفاءته الإنتاجية.

[19]- المرجع نفسه، ص: 28-29

أهداف المقاربة النّصيّة:

تطمحُ المقاربة النّصيّة إلى تحقيق جملة من الأهداف، خِدمةً للّغة العربية التّي تمتاز بمكانة هامّة في المنظومة التّربوية، باعتبارها لغة حاضرة في أغلب الأنشطة التّعليمية، فإتقانها والتّحكّم فيها يسهل سير عمليّتي التّعليم والتعلُّم، وتتمثّل أهداف هذه المقاربة في:

- ✓ وضع أنشطة اللّغة العربية في قالبٍ متكامل، فالفصل بين الأنشطة اللّغوية لا يتماشى وأهداف التعلّم الحديث، إذ يكتسبُ المتعلّم الموارد المعرفيّة اللُّغوية في شكل متكاملٍ، ومترابطٍ، ومتسلسلٍ؛ ممَّا يسهّل عليه عمليتي البناء والتّركيب.
- ✓ تمكّن المتعلّم من آليات تحديد المعايير النّصية، وكذا السّمات والمميّزات التّي تميّز النصّ عن اللانص.
- ✓ الانتقال من مبدأ التّعليم، إلى مبدأ التّعلم، والتّركيز على المتعلّم في أثناء بناء التّعلمات مع مراعاة خصائصه الوجدانيّة، و الحركية، والمعرفية، وكذا الفوارق الفرديّة بين المتعلّمين.
- ✓ تبحثُ عن نصوص تتماشى والمعايير اللازمة لانتقاء المقرّرات المبرمجة في المناهج الدّراسية، حتّى تتوفّر لها أرضية التّطبيق، لتحقّق أهدافها بنجاح.

واقع تعليميّة النّصوص الأدبيّة:

يعيشُ تدريس النصّ الأدبيّ في مدارسنا باختلاف أطوارها وحتّى المرحلة الجامعيَّة تعثّرًا، فالمتعلّم أو الطالب لا يرقى مستواه إلى الهدف المنشود، فهو يعاني من قراءة هذه النّصوص قراءةً معبّرةً وواعيةً، وغير قادر على تحليلها – النّصوص- وفهمها؛ لأنَّ من الأهداف التّي يسعى المنهاج لتحقيقها وغرسها في المتعلِّم: اكتشاف معطيات النّص الدّاخلية والخارجيّة، ومناقشتها، وتلخيص

النّص لمعرفة مدى قدرتهم على الفهم والتّمييز بين الأفكار الأساسية والثانوية، وحسن الإعراب. ويمكن حصر المعوّقات التّي تعترض تعليميّة النّص الأدبيّ فيما يلي:

يعدّ المنهاج الرّكيزة الأساسيّة لبناء عمليتي التّعليم والتعلُّم، ونجاح المنظومة التربويّة أو فشلها متعلّق أساسًا بما تتبنّاه الدّولة من تيّاراتٍ بيداغوجيّة جديدة، وميدان تعليم اللُّغات وتعلُّمها هو الآخر خاضع للتّغيّرات الحاصلة نتيجة التطوّرات السّريعة التّي شهدها العالم، فأغلب المشكلات التّي تحيط بالنّص الأدبي تتجلَّى في أغلب العناصر المكوّنة للمنهاج، ولا يمكن الجزم بأنَّ المدرّس وحده هو المسؤول، أو المتعلِّم، أو الطريقة، بل كلُّها تتلاحم لتضع تعليميّة النّصوص الأدبيّة أمام إشكالية تحدُّ من فاعليته، وتأثيره على المتلقِّي، ويمكن حصرها فيما يلي:

المحتويات (النصوص الأدبية المختارة):

يرى الكثير من النّاس أنَّ دراسة الأدب تقتصر على المرحلة الثانويّة والمستويات الأعلى فقط، والأصحّ هو أنَّ تعليميّة النّصوص الأدبيّة دراسة شاملة ومستمرّة منذ وعي الفرد الصّغير بماهية التّعلم، ففي المرحلة الابتدائيّة يتلقَّى المتعلِّم الأدب في شكل قصصيّ، ومحفوظات، ومسرحيات، من أجل تنشئة المتعلِّمين على الأخلاق السّامية، وتربية ذوقهم، وتنمية قدراتهم وكفاءتهم الإنتاجية مشافهة وكتابة؛ أمّا مرحلة المتوسّط تعتبر همزة ربط ووصل بين المراحل التّمهيديّة والمراحل العليا المواليّة، فتشتغل النّصوص هنا على تمكين المتعلِّمين وتعويدهم على قراءة النُّصوص قراءةً معبّرةً ذات تلوين صوتيّ منسجم مع طبيعة النّص، كما تمكِّنهم من إدراك المعاني والمفردات المتحكِّمة في اتِّساق وانسجام النّصوص وفق معايير محددّة.

لننتقل إلى المرحلة الثَّانويّة أين نجد فهم المتعلِّم للأدب شبه متوفّر، وطريقته، وأداءه في دراسة وتحليل النّصوص مرضية إلى حدٍّ بعيدٍ، يمكّنه من إنتاج نصوص تقارب النّصوص المدروسة من حيث البناء والجمال، لكنَّ الواقع مؤلم، ويفاجئنا سنة بعد أخرى بمستوى المتعلِّمين المتدنّي وبقائهم الدّائم عند مستوى سطح النّص دون التّوغُّل في ثناياه، والتّعمّق في عناصره، وكأنَّه غريب يصعب على المتعلِّم مجالسته، ولما التّشبيه حاضر هنا إذا كانت النّصوص غريبة عن المتلقِّي، لا يدرك شيئا عن زمنها، أو البيئة التّي نشأت فيها، فالمتعلِّم ميّال لكلِّ ماهو واقعيّ ومحسوس،ويستصعب كلّ ما هو مجرّد، وهذه النّقطة تسحبنا لتناول العنصر الموالي الذّي يساهم بقدر كبير في تفاقم الإشكالية التّي نحن بصدد دراستها.

- تدريس النصوص الأدبية وفق عصورٍ أدبية:

نرى أنَّ أغلب النُّصوص – المرحلة الثّانوية -تعالج عصورا سياسية، تسند العمل الأدبي لصاحبه وعصره، والمميّزات التّي تحتويه، غير أنَّ هذا أثَّر سلبا على مردودية الاكتساب والإنتاج لدى المتعلِّم. فقد روعي في منهج الأدب أنْ يبدأ الطالب بدراسة العصر الذّي يعيش فيه؛ «لأنَّه أدنى إلى فهم لغته، وتذوُّق أساليب التَّفاهم فيه، وإدراك الأغراض التّي يعالجها الكتاب، والشّعراء في العصر الحديث، ثمَّ يرجع إلى العصور التّي تسبقه في التّاريخ بالتَّدريج حتّى ينتهي الطّالب في المرحلة الدراسة بالمدارس الثّانويّة إلى العصر الجاهليّ[20]».

فتناول العصور وفق المراحل الدّراسيّة له أثر على مدى اكتساب الكفاءة النّصيّة من قبل المتعلِّمين، وكذا قدرتهم على التّذوُّق، وتشفير معاني

[20]- محمد عطيّة الأبراشي: الطرق الخاصة في التّربية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط2، 1958م، ص: 184

النَّص وجماليّاته، انطلاقا من العصر الذّي يعيش فيه؛ لأنّه يدرك تماما ما يتحدّث عنه الكاتب، وما يريد إيصاله؛ ممَّا يسهِّل عليه تقنيات تحليل ودراسة النّصوص على الصّعيدين الفنّي والتّركيبي من جهة، وبناء نصوص تليق بمستواه من جهة أخرى.

الأدبُ شعرٌ وقليلٌ من النّثر ولا يتعدّى ذلك:

تقتصر المقرّرات الدّراسية خاصّة في المرحلة الثّانوية والجامعيّة على الشّعر والنثر، ولا تتعدّاهما، وهذا ما جعل الأدب منحصر في النّظرة التّقليدية التّي تغلقُ مجال الأدب في الشّعر والنّثر، والأصحّ هو انفتاحه – الأدب- على عدّة مجالات أخرى خاصّة وأنَّ النَّص صَعُبَ الحديث عنه في اللّسانيات الحديثة؛ لأنَّ اتجاهاتها تنوّعت، ومشاربها في النّظر إلى النّص اختلفت، لذلك وجب علينا فتح النّص على كلِّ ما هو مكتوب، أو ملفوظ في شتّى المجالات، الأنثروبولوجية، والثّقافية، والدينية، والفلسفية، والإشهارية، وغيرها.....

قطبا المثلّث الدّيداكتيكيّ – مدرّس، متلقّي-

✓ **المدرّس:**

في ظلّ التّغيّرات والتّجديدات التّي طرأت على المناهج التّربوية، لا يمكن أن نتجاوز مسألة مهمّة أثّرت بشكل كبير على فشل المناهج الجديدة وتطبيقها، ألا وهي الكفاءة التّكوينية لدى المربّيين، فالفجوة القائمة بين المدرّس والأهداف التّي يسعها المنهاج إلى تحقيقها، وكذا الطّرائق المعتمدة في تقديم المادّة التّعليميّة التّي بنتها مادة التّدريس الأدبيّ، جعلت من المطبّق عائقًا ومشكلًا أمام سير عمليّتي التَّعليم والتعلُّم، ولازال حبيس الطّريقة التّقليديّة المنحصرة في التَّلقين، وحشو أذهان المتعلِّمين فقط.

✓ **طبيعة المتعلّم:**

إنَّ مغريات الحياة تنوّعت، وتعدّدت بالنسبة لمتعلّم عصر التطوّر والتّكنولوجيا؛ إذ بات من الصّعب التّحكم فيه من شتّى الجوانب السّيكولوجية، والحس حركية، والمعرفية حتّى، فكيف لمتعلّم المدرسة الحديثة أن يُؤَهّل ليكون فنّانًا مهتمًّا بالنّصوص تحليلًا، ونقدًا، وخضوعه للنّص شارحًا مفسِّرًا، من خلال دراسته للأدب في العصر الجاهلي أو العبّاسي وفق طريقة مجحفة في حقه – التّلقين- فوجب هنا الاختيار الصحيح للمادة المعرفية، وطريقة التّدريس بما يتناسب مع الخصائص الوجدانية، والسلوكية، والمعرفية للمتعلِّم.

✓ **طريقة التّدريس:**

تعدّدت المقاربات البيداغوجيّة المتبنّاة في الحقل التَّربويّ، نظرا للإصلاحات التَّربوية القائمة في ظلِّ تطوّرات، ومستجدّات العصر، وآخر تغيير عرفته المناهج الجزائرية هو الانتقال من بيداغوجيا الأهداف إلى بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات المرتبطة «بوضعيات مستهدفة situation cible التّي تشكِّل كلّ واحدة على حدة مجالًا لممارسة الكفاءة».[21]

والنّصُّ الأدبيُّ في رحاب المقاربة بالكفاءات تقوم تعليميّته على أساس المقاربة النّصِّية؛ إذ تعدّ منظورا بيداغوجيًا غزا السّاحة الأدبية، ويعمل على مساعدة المتعلِّم على قراءة النّص الأدبي «والتّوقُّف عند المؤشّرات الخارجية (هندسة الفضاء النّصي، بنية العنوان وايحاءاته، ومصدره) والمؤشرات الدّاخليّة (بداية النّص ونهايته، العلاقة بين البداية والنّهاية، والعلاقة بين

[21]- اللّجنة الوطنيّة للمناهج: مشروع الوثيقة المرافقة لمنهاج السّنة الأولى من التّعليم الثّانوي العام والتّكنولوجي، جانفي2005، ص: 5-6

المركّبات)[22] ». لكنَّ السؤال الذّي يطرح نفسه هنا: هل حقّقت المقاربة النّصية أهدافها؟ ودفعت المتعلّم نحو التّحليل والتّفكير؟ ودرّبته على دراسة النّصوص وقراءتها؟ فنقف وقفة حسرة عندما نتأمّل الإجابة عن هذا السّؤال التّي يمليها ضعف المتعلِّمين المستمرّ، وعقمهم الدّائم أمام إنتاج النّصوص رغم حداثة الطّرائق!

والاتّهام لا يوجّه للمقاربة النّصيّة؛ لأنَّها مضبوطة وفق أسس بيداغوجية محكمة، ساعية نحو تحقيق أهداف النّص وأهداف المنهاج، التّي عجزت الطّرائق السّابقة على تحقيقها، واكسابها لمتعلِّم المدرسة الحديثة، فغياب المادّة التّعليميّة الهادفة وكلاسيكيّة الأستاذ وتشبّثه بالطّرائق التقليديّة، ولا مبالاة المتعلِّم، كلّها عوامل ساهمت في تثبيط فاعليّة المقاربة النّصيّة.

معايير انتقاء النّصوص الأدبية وأثرها في فاعليّة المقاربة النّصيّة:

اختلفت وجهات النّظر التّي تناولت النّص وخصوصًا من المنظور الحديث، الذّي فتح المجال أمام أنواع النّصوص وتصنيفاتها، فالمتعارف عليه أو الأصح النّظرة التقليدية – كما أشرنا سابقا- ترى أنَّ الشّعر والنّثر هما الأدب في حدّ ذاته، والميل أكثر للشّعر والتهامه حصّة الأسد في النّصوص المقرّرة في الكتاب المدرسيّ، لهذا نجد فخر الدّين عامر يقول: «ممَّا يؤخذ على الاختيارات الميل الجارف نحو الشّعر، والإقلال من النّثر، حتّى استقرَّ في نفوس التَّلاميذ أنَّ النّصوص أو الأدب هو الشّعر، وما النّثر إلَّا ضيف على خوان القوافي، لذلك ينبغي الإكثار من القطع النّثرية في مواضيع متنوّعة، كالخطبة والمقال والرّسالة والمقامة، والنثر العلميّ، والنّثر المحايد، حتّى يمرّن التّلميذ على

[22]- ينظر: بومعزة غشّام: تعليميّة نشاط النّص الأدبي، الملتقى الوطني لإدماج تقنيات الاتّصال والإعلام في التّربية والتّعليم، ثانويّة حسيبة بن بوعلي، الجزائر العاصمة، فيفري 2012، ص:04

هذه الفنون، ويطّلع على حديقة الأدب، ويقطف منها ما يروقه، أو تتفتّح موهبته على ما يناسبها[23]». ويتعدّى النصّ هذا ولا ينحصر فيما هو مكتوب فقط، فميدان المنطوق والتّعبير الشّفوي هو الآخر مقصود هنا، ذلك أنَّ الأدب نجده في خطابات مختلفة تطرق آذان المتعلّم.

ويمكننا حصر معايير اختيار النّصوص الأدبيّة المساهمة في تحقيق الأثر الفعَّال للمقاربة النصيَّة فيما يلي:

المعيار الاجتماعيّ الثّقافيّ:

«وهو المعيار الذّي يفرض أن يكون الاختيار من النّصوص النّابعة من ثقافة المتعلِّم، والمتّصلة بمحيطه، فلا يعقل أن تعتمد نصوصًا لا يشعر المتعلِّم بالاتّصال الحميميّ، والقبول الاجتماعيّ».[24] فاختيار النّص مرتبط ارتباطًا وثيقًا ببيئة المتعلّم، وثقافته، ومجتمعه؛ إذ يضحى هذا المتعلّم متمكِّنًا من فهم وتحليل هذا النّص انطلاقا ممّا يحمله في جعبته من خصائص البيئة التّي يعيش فيها.

وللنصوص الدّينية أثر قويّ في تهذيب النّفس وتعديل السّلوك، لذا وجب إقحامها في المقرّرات الدراسيّة؛ لأنَّ غيابها يستهول كلَّ مدرّس.

المعيار السّيكولوجيّ البيداغوجيّ:

المعيار السّيكولوجيّ هو: «الذّي يجعل الاختيار مرهونًا بما تحمله النّصوص من قيم ومضامين، مع ضرورة توفّر عنصر التّشويق فيها[25]»؛ أمَّا المعيار البيداغوجيّ

---

[23]- فخر الدّين عامر: طرق التّدريس الخاصّة باللغة العربية والتربيّة الإسلاميّة، عالم الكتب، الأردن، ط2، 200م، ص:142

[24]- يحي بوتردين:تعليميّة النّص القرآني في إطار التكوين الجامعي المتخصّص في اللُّغة العربيّة وآدابها، ص:44

[25]- المرجع نفسه، ص:43

متعلّق «بضرورة أن تكون بنية النّصوص المختارة في مستوى إدراك المتعلّم حتّى يتمكّن من استيعابها ومحاكاتها[26]».

المعيار التّربويّ:

تسعى المنظومة التّربويّة جاهدةً لتحقيق أهدافها، فارتباط الأهداف بالمحتويات وطبيعة النّصوص الأدبيّة ضروريّ، فإذا ما ابتعد المحتوى عن الهدف، فإنَّه يؤدِّي إلى الانحراف بالعمليّة التّعليميّة، لذلك يجب أن تكون نصوصًا أدبيّة براغماتيّة، وخادمة للمقاربة النّصيّة، ومحققّة لأهدافها، وتضمن للمتعلّم كفاءة تلقّي وفهم النّصوص من جهة، وكذا إنتاجها من جهة أخرى، علاوة على ذلك يجب أن تتواجد الظواهر اللّغوية المستهدفة في الوحدة التّعليمية من صرف ونحو، وبلاغة، فإذا افتقر النّص لهذا الشّرط الذّي يعدّ عاملًا أساسيًا في تحقيق فاعلية المقاربة النّصية، فإنَّ المدرّس يلجأ إلى أمثلة أخرى من أجل بناء التّعلّمات الخاصّة بكلّ نشاط لغوي، فيخرج عن نطاق النّص المدروس، وبالتّالي لا يمكننا القول أنَّنا بصدد تطبيق مقاربة جديدة في تعليميّة اللّغة العربيّة على وجه العموم، وتدريس النّصوص الأدبيّة على وجه الخصوص، ويبقى التّدريس يدور في فلك المناهج وطرائق التّدريس التّقليديّة.

كما يجب أن نتحرّى الصّدق في اختيار الموضوعات مع ذكر أصحابها، فهناك الكثير من النّصوص الأدبيّة المشبّعة بالأخطاء لكنّها غير مسندة لمؤلّفيها، فيعجز القارئ عللا التّأكد عن طريق النّصوص الأصلية.

أبعاد النّص الأدبيّ في رحاب المقاربة النّصية:

تستمدُّ المنظومة التّربوية مشروعيّتها، وتفرض وجودها بوجود أهداف تسعى إلى تحقيقها ذلك «أنَّ أيّ عمليّة تعليميّة لها أهداف تريد أن تحقّقها في

[26]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها

المدى المنظور على المدى القريب، والمتوسط البعيد، ومادة النّصوص هي إحدى هذه المواد التّي يرجى من روّاد تدريسها مجموعة من القيّم التّربويّة[27]»، وتعليميّة النّصوص الأدبيّة في ظلّ المقاربة النّصيّة تتطلّب من الدّارسين المزاوجة بين أبعاد النص من جهة، وغايات المقاربة النّصية من جهة أخرى، والتّوليف بينهما، بغية تحقيق أكبر قدر من الأهداف المنشودة، فإذا كانت المقاربة تبحث في آليات دراسة الاتّساق والانسجام الداخلي والخارجي للنّص، وملاءمة هذا الأخير لتناول الأنشطة اللُّغويّة الأخرى واعتباره منطلقًا رئيسًا لمختلف الظّواهر اللُّغوية التّركيبيّة – النّحويّة- والصّرفيّة، والبلاغيّة، وغيرها، والانتهاء عند تكوين متعلّم قادرٍ على إنتاج نصوص متناسقةٍ ومنسجمةٍ تحمل أبعادًا ثقافيّة، وفنّية، وجماليّة مختلفة، فالعمل في وفق هذه المقاربة ينطلق من نصٍّ وينتهي عند نصٍّ؛ لذلك من الواجب أن تتحدّد النّصوص الأدبية في المستوى المعرفي النّفسي التّربوي لتعليميّة المواد، ونقصد هنا المقاربة البيداغوجية المختارة – المقاربة بالكفاءات- والمستوى الأنطولوجي للمادّة المتمثّل في المقاربة النّصيّة، وهذان المستويان يشكّلان أسسًا معرفيّة خاصّة بمسار التّعلُّم .

خاتمة:

ختامًا نصل لنتيجة تقّر بفشل تعليميّة النّصوص الأدبيّة في كلّ الأطوار الدّراسيّة، و الطّور الجامعيّ، وأثرها السّلبيّ على كفاءات المتعلّم – تلقّي وإنتاج- رغم التّغيرات الحاصلة على مستوى المناهج؛ لأن المختصّين والهيئات المسؤولة عن عملية التّخطيط المسبق للمقاربات البيداغوجيّة المتبنّاة، لا تأخذ العلاقات القائمة بين عناصر الفعل الدّيداكتيكيّ بعين الاعتبار، إذ تغفل

[27]- عابد توفيق الهاشمي: الموجّه العلمي لطرق التّدريس، مؤسسّة الرّسالة، بيروت، ط1، 1998م، ص:135

انتقاء المادّة التّعليمية المناسبة لتطبيق مقاربة ما، وكذا إهمال المراقبة المستمرّة والعملية التّقويمية الخاصّة بالأجرأة الميدانية للتّصورات البيداغوجية التّي ظهرت على مستوى الحقل التّربوي.

قائمة المصادر والمراجع:

أ/ الكتب

1. ابن منظور: لسان العرب، تر:عامر أحمد حيدر، مر:عبد المنعم محمّد خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.
2. بشير ابرير: تعليميّة النّصوص بين النّظرية والتّطبيق، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 2007م
3. التّقرير الوطني الخامس بتقويم منهاج اللّغة العربيّة وآدابها في مرحلة التّعليم الثّانوي، وقائع الملتقى الوطني لتعليميّة اللّغة العربيةوآدابها، المنعقد أيام 1-2-3 ديسمبر 1997، ثانوية حسيبة بن بوعلي، القبّة، الجزائر،
4. جماعة من كبار المؤلفين العرب بتكليف من المنظمة العربية التربية والثقافة والعلوم: المعجم العربي الأساسي
5. جوليا كريستيفا: علم النّص، تر:فريد الزّاهي، مر: عبد الجليل ناظم، د.ط، د.ت، دار توبقال، المغرب.
6. السّعيد مزروع: التّدريس والتّقويم بالكفاءات، سلسلة موعدك التّربوي، الجزائر، العدد17، 2005م،
7. عابد توفيق الهاشمي: الموجّه العلمي لطرق التّدريس، مؤسسّة الرّسالة، بيروت، ط1، 1998م.
8. عبد السّلام المسدي: النقد والحداثة، منشورات دار أمية، تونس، ط2، 1989م.
9. عبد اللّطيف الفرابي وآخرون: معجم علوم التّربية مصطلحات البيداغوجيا والدّيداكتيك، دار الخطابي، الرّباط، ط1، 1999م.
10.عنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، د.ط، 2000م.

11.فخر الدّين عامر: طرق التّدريس الخاصّة باللغة العربية والتربيّة الإسلاميّة، عالم الكتب، الأردن، ط2، 200م.
12.اللّجنة الوطنيّة للمناهج: مشروع الوثيقة المرافقة لمنهاج السّنة الأولى من التّعليم الثّانوي العام والتّكنولوجي، جانفي2005.
13.محمد راتب الحلّاق: النّص والممانعة مقاربات نقدية في الأدب والإبداع، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999
14.محمد سمير نجيب اللابيدي: معجم المصطلحات النّحوية والصّرفية، دار الثّقافة، بيروت، د.ط، د.ت
15.محمد عطيّة الأبراشي: الطرق الخاصة في التّربية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط2، 1958م.

ب-الرسائل الجامعية:

يحي بوتردين: تعليميّة النّص القرآني في إطار التكوين الجامعي المتخصّص في اللّغة العربية وآدابها، أطروحة دكتوراه، تخصص لسانيات تطبيقية وتعليميّة اللّغة العربية، جامعة الجزائر،2006/2005

ج-المقالات في المجلات:

حمودي سعيد: أشغال الملتقى الوطني الأول حول : اللّسانيات والرواية، مجلة الأثر،ع22، فيفري 2012.
السّعيد بوسقطة: شعريّة النّص بين جدلية المبدع والمتلقّي، مجلّة التّواصل، جامعة عنابة، 08 جوان 2001م.

د-المداخلات في الملتقيات والندوات:

1. بومعزة غشّام: تعليميّة نشاط النّص الأدبي، الملتقى الوطني لإدماج تقنيات الاتّصال والإعلام في التّربية والتّعليم، ثانويّة حسيبة بن بوعلي، الجزائر العاصمة، فيفري 2012م